العنف اللغوي في خطاب «نساءِ الدولة»

أ.م.د. محمد حسين مهاوي | كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة/ قسم اللغة العربية
mod_alwadh@yahoo.com

العنف اللغوي في خطاب نساء الدولة (داعش)

ملخص البحث:

بحث يتناول لغة العنف في خطاب النساء فيما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية داعش اختصارا، لتفكيكِ مصطلحِ العنف، وقراءتِهِ قِرَاءةً توافق مستوى ما يُشكِّلُهُ من حَدَثٍ وخَطَرٍ عالمين على الإنسانيَّةِ كُلِّها جمعاء. عرض الباحث عيناتٍ ونماذجَ لعدد من نساء مدينة الباغوز الداعشيات المأسورات في مخيَّم الهُول والموثقة (بتاريخ 16/ 4/ 2019) مادة إجرائية للبحث، حاول من خلالها الباحث تحليل قسم من مظاهر العنف المستخدمة على ألسنة هؤلاء النسوة، متناولا استراتيجيات العنف في الخطاب الداعشي، والتطور الذي طرأ على لغة المرأة الداعشية من سلب للغة الانثى الرقيقة الى لغة وعرة خشنة الطبع، ومظاهر التكفير، وايدلوجيا النص الديني، وانتهاك جسد المرأة وامتهانه بما يسمى جهاد النكاح، وكذلك استعمال الجسد النسوي مصدّاتٍ وحواجزَ بشريّة عبر تفخيخ هذه الاجساد، وزجّها بعمليات انتحارية، ونحو ذلك من مظاهر العنف التي حاول البحث الوقوف عندها وتحليلها، آملا في النهاية أن يكون البحث قد وُفّق لرصد مشكلةٍ إنسانيّة عالمية لبحث آفاق حلولها المستقبلية، وقد انتظم البحث في قسمين، الأول خصص للجانب التنظيري (أسئلة في تشكل بنية العنف المفهومية)، والثاني خصص للجانب الإجرائي (خطاب نساء الدولة عينات تحليلية).

الكلمات المفتاحية: (العنف، الخطاب، النساء)

The Linguistic Violence in The ISIS Women Discourse

Abstract:

A study dealing with the language of violence in the Islamic State's women's discourse of ISIS, to break up the term violence and its reading in a reading that corresponds to the level of global event and danger it poses to all of humanity as a whole. The researcher presented samples and models for a number of women in the city of Al-Baghouz, the ISIS captured in the Syrian horror camp A procedural study, through which the researcher attempted to analyze a section of the violence used on the tongues of these women,

They dealt with strategies of violence in ISIS rhetoric, the evolution of the language of ISIS from looting of the delicate female language to rough and rough language like men, manifestations of penitence and ideology of the religious text, the violation of the woman's body and its abuse of the so-called jihad of marriage, as well as the use of the female body as human shields and barriers through booby traps These bodies, and plunged them into suicide operations, and so on, are manifestations of violence that the research attempted to stop and analyze, hoping in the end that the research was in accordance with monitoring a global humanitarian problem to discuss prospects for future solutions.

Key words: violence, speech, women

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خَلْقِهِ أجمعين أبي القاسم مُحَمَّد وآله الطيبين، وأصحابه المنتجبين، أما بعد:

فإنَّ البحث الموسوم بـ (**العنف اللغوي في خطاب «نساء الدولة»**) يأتي فكرةً جادَّة لتناول موضوع العنف في سياق خطاب نساء داعش، وقراءتِهِ قِرَاءةً توافق مستوى

مـا يُشـكِّلُهُ من حَدَثٍ وخَطَـرٍ عالميين على الإنسـانيَّةِ كُلِّها جمعاء، ذلكـم العنف الذي انتشرَ وباءً فاتكا مُتلبِّسـا بالدِّين حَاضنَةً لبثّ سُـمُومِهِ، وأفـكارِهِ المعلولة، والمنبثقة من خطـابِ الكراهيـة والإحنِ والإلغاء الـذي يلتزمُهُ مايُسـمَّى تنظيم الدولة الإسـلامية في العـراق والشـام الإرهابي (داعش اختصـارا)، تحتَ تابوهات القداسـة والمُعنونات العريضة التي تُشرَّع باسـم إقامة العدل، وإحياء دولة الخلافة، وتقويةِ شـوكة الإسلام وغيرِها من المزاعم والدواعي التي سَـوَّغت، وأباحـتْ لقياداتِ هذا التَّنظيمِ والمنتمينَ إليـه، أن يرتكبـوا أبشـع الأفعال الإجرامية، ويمارسـوا أغلـظَ أنماطِ العنـف، وأكثرها تطرُّفًا وفظاظةً ضَدَّ كلِّ من لا يوافق منهجهم وسلوكياتِهم، بعد أن تمكَّنت من اختراقِ الحصانـةِ البشريـة، وانتهـاك الأمـن الثقـافي لأتباعها من الأطفال والشـباب والنسـاء وغيرها من الفئات العمرية المغرِرِ بها.

وكان مـن بين العبث والخراب الذي ارتكبه هذا التنظيم، الخرابُ الثقافي والفكري الذي اسـتهدف البنية اللغوية للمجتمعات العربية والإسـلامية، مسـتفيدًا من السـعة المعجمية للغة، والطاقة الدلالية التي تنماز بها مفرداتُه وتراكيبُه في تكوين خطابه العُنْفِي عبرَ التَّوسُّل بآليات اللغة وأغراضها البلاغية، كالوعيد والتهديد والنُّذُر، والإخافة؛ إذ عمل على إعادة إنتاج المفردات اللغوية من جديد، وشَـحْنها بمعاني العنف والكراهية وتصديرها للواجهة كاستراتيجية إخافة أو رعب الآخر المختلف معه في المبدأ والعقيدة والتوجّه.

وفي ضوء ذلك تجدر الإشـارة إلى أنّ هذا البحث ينطلق من فرضية مُهمَّة، مُؤدَّاها: أنَّ صِياغـة اللُّغـة لأية جماعة لغويـة معينة – مُفرداتٍ أو وتراكيبَ– تكشـفُ جزءًا من طريقـة تفكير هذه الجماعة، واسـتراتيجيتها الثقافية، وإذا مـا نظرنا إلى اللغة من منظور اللسـانيات، كانـت النظـرة إليها أعمق من كونهـا وحدات لغوية مفـردة أو مُركَّبة، بل رعوي سـياق الخطـاب وتأثيره دلاليا، بـما تكتنزه اللغة من أدواتٍ وآليـاتٍ متعددّة في تحليل الخطاب، وما تَظْفرُ به إمكاناتُها الوَظِيْفيَّة في معالجةِ وتفكيك ظاهرة أو مشـكلة،

طالما سجَّل الحلُّ الأمني تفوُّقًا واضحًا في التَّصدي لها، وغابتْ إزاءَ ذلك حُلُولٌ ثقافيّةٌ وفكريَّـة، لاتزال محاولاتها ومعالجاتها توصف بالخجولة أو المتأخرة، فليسـت اللغة إلا واحدةً من العُلُوم الإنسانية التي تحتاج إلى تَضافُرِ جملة علوم فلسفية واجتماعية وفقهية، وأنثروبولجيًّا ونحوها من العلوم الإنسـانية لمعالجة هذه الظاهرة؛ لأنَّ تنظيم داعش في النهاية فِكرٌ مُنَظَّرٌ له، ويجب أن يعالج بالمنهج والتَّوجُّه الفكري والعقدي نفسِهِ، غير أنّ المعالجة في هذا البحث سـتكون من مَنْظور التحليل اللغوي ومايجاورُهُ من تخصُّصات قد تشترك في التحليل.

وفي ما يتعلَّق بالعينةِ الإجرائيَّةِ للدِّراسةِ، نحا الباحثُ منحًى تَجريبيًّا جديدًا ومغايرًا، وهو أن يَقرأ مظاهر العنفِ اللُّغوية في خطاب «نسـاء الدولة «– أعني الدولةَ المَزعومةَ مـن مَنْظـور أصحابِهـا، كما تَشِي المعقوفتـان بأنموذج الخطـاب معنى تداوليـا– متخذًا مـن التصوير الفيديـويّ الذي أجرته مراسـلة قناة الحدث السـعودية (رولا الخطيب) مع نسـاء الباغوز*[1]الداعشـيات المأسـورات في مخيَّم الهُول[2] مادة إجرائية للبحث؛ إذ عمـدَ الباحـث على إفراغ اللقاء الذي جرى بين المُراسِـلة وهؤلاءِ النسـوة، على شـكل مقاطـع حوارية لخَّصت جميع ما دار في اللقاء، مـع إجراء تعديل لغوي طفيف، كعودة الضمائر على الأشخاص، ومعالجة التكرار بما لا يحدث تغييرا بمحتوى اللقاء أو يؤدي

(1) الباغـوز: تقـع مدينـة الباغوز شرق محافظـة دير الزور السـورية، وتحديدا على الحدود السـورية العراقية (منطقة البوكمال) أي على أطراف نهر الفرات، وهي تقسم لقسمين «الباغوز الأعلى، والباغوز الأسفل الذي أصبح الرقعة الأخيرة لتنظيم داعش»، وتبعد عن مدينة دير الزور بمسافة 125 كم، وتحاذي الحدود العراقية بمسافة 3 كم. ينظر: موقع الخليج أون لاين على الرابط الألكتروني:

https: / /alkhaleejonline.net /٪D8٪.

(2) الهـول: هـي بلدة تقع شرقي محافظة الحسـكة، شـمال شرقي سـوريا. وشـهدت البلدة معـارك كبيرة مع تنظيـم داعـش ووقعت تحت احتلال قواتـه في أثناء الحرب الأهلية السـورية. نظراً لأهميتها الاسـتراتيجية، وأصبحـت واحدة من المعاقل الرئيسـية لداعش في شـمال شرقي سـوريا. جرى تحرير الهـول من قبل قوات سوريا الديمقراطية في اكتوبر عام 2015. ينظر: موقع موسوعة ويكبيديا على الرابط الألكترونية:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%84

إلى تحريفه، كما هو مبين في رابط النشر المرافق (You Tube)، والمعنون بـ (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات)[1].

القسم التنظيري:

أسئلة في تشكُّل بنية العنف المفهومية:

ما العنف؟ وما العنف اللغويّ؟ ولماذا يتَّخذ عناصر تنظيم داعش العنف استراتيجية أو منهج خطاب؟ وكيف يمكن أن نفهم صورة العنف في خطاب «**نساء الدولة**» وهو يستعيد لغةً ذاتَ نزعةٍ سلفيَّةٍ وأصولية متشدِّدة؛ ليُسخِّرَها لغةَ تواصُلٍ داخلَ التنظيم وخارجَه، إلى حدٍّ، تكاد تنأى لُغتُهُنَّ عن اللغة الدارجة والعامية؟ ما الذي يتركه التمرُّس العنيف للقتال لدى نساء داعش -وهن يُواجِهْنَ الحديد والنار بأجسادِهِنَّ- على المتلقِّي من تأثير نفسيٍ وسُلوكيّ؟ وهل كان لعملياتِ تنمية الشَّحنِ الفِكْري- القائمة على التغذية العنيفة المتَّسمة بلُغة الكراهية والتطرف وتسميم الأدمغة بالعقائد المُؤدلَجة التي تتلقَّاها تلك النساءُ على يد التنظيم- انعكاسٌ واضحٌ على خطابهِنَّ وسلوكياتِهِنَّ المجتمعية؟ وإلى أيِّ مدًى أثّرت حالة اليأس والقنوط- الذي تعانيه أغلب النساء من واقع الأَسْر الصَّعْب داخل مُخيَّم الهُول، وتمنّي كثيرٍ منهِنَّ القتلَ أو ما ينعتنه بـ»الاستشهاد»- على البقاء أو الرجوع عمَّا يحملْنَ من عقيدةٍ على البنية اللغوية في التعبير؟ إذْ ماذا يمكن أن تُوصَف لغةُ يائسٍ أو مُتَمَنٍّ الموتَ على الحياة، غير نزعة الحِدَّة والتَّشدُّد في صياغة الخطاب؟ وما سببُ تَمَثُّل «نساء الدولة» للنصوص الدينية المحمولة على قراءاتٍ وتأويلاتٍ مُختلِفٍ فيها، حُجَّةَ إقناعٍ لتقبُّل خِطابهِنَّ، وإهمال النصوص التي تتَّسم بلغة الاعتدال والوسطيَّة أو على الأقل غير المختلف فيها؟

هذه الأسئلةُ وغيرُها يمكن أن تكون مداخل أوليَّةً كاشفةً لتمثُّلات العنف اللغوي،

(1) ما لم تره أو تسمعه عن الداعشيات، عنوان التصوير الفديوي الذي بثته قناة الحدث السعودية على موقع التواصل يوتيوب، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=EpM8d7GurPA&t=1668s الوقت من الساعة (11:25) إلى (11:50).

وصوره المُختلفة في صياغةِ خطاب «نساء الدولة» كما سيتبيَّن ذلك إن شاء الله تعالى.

العنف اللغوي من المعنى المعجمي إلى التمثلات السلوكية:

المُتتبِّع لمعنى العنف في سياقاتِهِ اللُّغوية والمعرفيَّة المختلفة يجد تلاقيًا واضحًا في عموم الوجوه التفسيرية التي تستجلي دلالته، بوصفهِ ظاهرةً لفظيّةً وسلوكيةً، ونزعةً عدوانيَّةً إجراميَّـةً؛ إذ يكشـف **المَحْكَـى اللُّغوي** لمعنى (ع ن ف): **أَنَّـهُ الخَرْقُ بالأمْـرِ وقلَّةِ الرِّفْقِ بـه، وهو ضِدَّ الرِّفْقِ، وأَعْنَفَ الشَّيءَ: أي أَخَذَهُ بشـدَّةٍ، والتَّعْنِيفُ هو التَّقْرِيعُ واللَّوْمُ... و أَعْتَنَفْـتُ الشَّيْءَ كَرِهْتُهُ، ووَجَدْتُ له عَلَيَّ مَشَـقَّة وعُنْفـاً.... والتعْنِيفُ: التَّعْيِيرُ واللَّوم** (ابن منظور 1956م، مادة (ع ن ف)).

نفهـم من المحكى اللغوي لمعنى العنف أَنَّهُ سـلوكٌ فعليٌّ موسـومٌ بالشِّـدةِ والحِدَّة، فالخـرق بالأمر اسـتعمال الشـدة بقوَّة تشـقُّ على المُعَنَّف، والسـياق اللغوي لاسـتعمال (الخـرق) يدلُّ عـلى إتيان الأمر المُسْـتنكَر والمُتعجَّب منه، ولاسـيَّما في القران الكريم ما يوضح ذلك: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ الكهف: ٧١

أي ثقبَ السـفينة باختراق ألواحٍ منها، فقوله تعالى (**خَرَقَهَا**) هذا فعل شـديد، دعا النبيَّ موسـى (عليه السلام) إلى أن تكون ردَّةُ فعلِهِ الاستفهامية تَعَجُّبيةً حدَ الاستنكار بقولـه (**أَخَرَقْتَهَا...!**) فحين يكونُ الـشيءُ مدعاةً للهلاك والغرق، يكون (**شَـيْـًٔا إِمْرًا**) أي عَجَبًا، والإمْرُ بكسر الهمزة، وسـكون العين يسـتعمل لوصف الدواهي والأشـياء الفادحة (ابن منظور 1956م، ينظر: مادة (أ م ر)).

والتَّعنيفُ رديف للتَّقْريعِ والتَّعْيير، فـ«**التقْرِيعُ التأْنِيبُ والتعْنِيف. وقيل: هو الإِيجاعُ باللَّوْمِ. وقَرَّعْتُ الرجلَ إِذا وَبَّخْتَه وعَذلْتَه**» (ابن منظور 1956م، ينظر: مادة (ق ر ع))، **والتعيير» إِنَّما يكونُ بتوجُّهِ المُتكلِّم وقصديَّته للتلفُّظِ بمفرداتٍ تحطُّ من قيمة اللُّغة لإيذاء المخاطـب!**» (ابن منظـور 1956م، ينظر: مـادة (ع ي ر)). فالتعنيف يحملُ الفاعل على

التلفُّظ بألفاظٍ شديدة القسوة حدَّ الألم والوجع.

ونخلص من المدلول المعجمي أنَّ العنف فعل كلاميّ لفظيّ وسلوكيّ عدوانيّ، يتحقَّق بالقول والفعلِ أي باللِّسان واليد، وهو بذلك يتعدَّى الفعل الكلامي أو اللَّفظي إلى ما يمكن عَدّ السلوكيات العدوانية النابعة من العنف منبعُها اللغة؛ إذ لا يقتصر العنف اللغوي على مجرَّد إسقاطِ مجموعة ألفاظ أو عباراتٍ تُطلق على الشَّخص المُعنَّف أو تلك التي يستشعرها من طريق لغة العنف، بل إنَّ السلوكيات الفعلية الإجرامية التي تستهدف الجسد الإنساني من ضربٍ، واعتداءاتٍ جنسيَّةٍ، وتشويهاتٍ خَلْقيّةٍ وغيرها، أفعال عُنْفية لا تنفصل عن اللغة، كما يقول جان جاك لوسركل أحد أهم المنظرين لعنف اللغة (لوسركل 2005م، ينظر: 447).

فهذا التصوُّر لـ (لورسكل) يأتي من نظرتِهِ للغة بوصفِها جسمًا من الأصوات قبل أن تكون ممارسةً فعليَّة، أي إنَّ ترجمةَ المشاعر والأحاسيس البشريَّة إلى واقعٍ لفظيٍّ أو صوتيّ يُدلِّل على أنَّ اللغة أُسّ التعبير العُنْفي، ضاربًا لنا مثلا بلفظة (**الألـــم**)- فهي قَبْلَ أن تكون شعورًا نفسيًّا وجسديًّا- تجدُها نابعةً من اللُّغة، وذلك من خلال العنف الذي تُحدثه تلك الأصوات، أي العنف اللغوي للفهم الحَرْفي الذي يُهدّد بالتَّحوُّل إلى عُنف حرفيٍّ من قِبل اللغة، بمعنى آخر أنَّ عنف المشاعر والغضب حين يفسِّر ويُنقَل إلى المعنى الحرفيّ اللَّفْظي والصوتي تكون المشاعر حينها مؤلمة (لوسركل 2005م، ينظر: 399، و403).

وفي مقاربة لسانية نفسية للغة العنف، يرى الدكتور مراد موهوب أن العنف اللغوي: (**حَدَثٌ لغويٌّ أو فِعلٌ كلاميٌّ يُعبِّرُ عن موقفٍ سَيكولوجيّ انفعاليٍّ يُنجَز في مقامٍ تَواصُليٍّ تفاعليّ سِمَتُهُ البارزةُ التَّنازعُ والخِصَامُ**) (أ. د. مراد (د.ت)، ينظر: 4).

وعلى وِفْق تلك الرُّؤى، يبدو أنَّ التصوُّر اللغوي للعنف أعمُّ من كونِهِ خطابًا لفظيًّا، بل يتعدَّاه إلى حدثٍ فِعْليٍّ سلوكيٍّ ومشاعرَ نفسيةٍ تترجمُها اللغةُ أصواتًا وأفعالا إنجازيَّة،

ولعلَّ السبب وراء استفحال ظاهرة العنف اللغوي أو اللساني يعود إلى «**تَفكُّك البنيةِ القيميـة للغة، ومن ثمَّ تفكُّك علاقة الفرد بالـكلام، والعلاقةِ مع الآخرين، وكُلَّما ابتعدَ الكلامُ عن القيمة، فقدَ أجزاءً كثيرةً من معانيه، ودَخَلَ في الاعتباطيَّة**» (مجموعة مؤلفين 2007م، 23 و24).

هـذا التفكُّك -من دون شـك- مرتبطٌ بالمنظومة الأخلاقيـة للمجتمع، وما تواجه من ظروفِ القهرِ والتطرُّف والانحطاط الاجتماعيّ، والسـياسيّ، والاقتصادي، وزمن الأيدلوجيات، والاسـتعمار وغيرها، من الممارسـات الضاغطة عـلى المجتمع، ممَّا يجعل العنـف اللغـوي خطـرًا عـلى المجتمع وعلاقتـه بالآخريـن (مجموعة مؤلفـين 2007م، ينظر: 24). ولاسيما في ظل تنامي ظاهرة أدلجة الدِّين التي تكشف أبعادها عن اتِّخاذها مسارين:

الأول: تقليديّ يقوم على الغُلُوِّ والتَّطرُّف في استظهار الدِّين وتطبيق تعاليمِهِ.

الثاني: ثوريّ يسـتحضر التراث منهجًـا قيميًّا أخلاقيًّا ينشـد العدالة في المجتمع (مجموعة مؤلفين 2007م، ينظر: 19).

فالاختـلال القيمـي للغة قد يسـتجيب أو يتأثر بـدواعٍ اجتماعية طارئـة؛ غير أنَّهُ لا يـؤشِّرُ اختلالا في بنيـة اللغة نفسِـها؛ **لأنَّ اللغة**-كما تقول (باربـرا ويتمر) إحدى المُشـتغلات على تفكيك أنـماط العنف-» **أكثرُ من مرجعيَّةٍ تثقيفيَّـةٍ، بل هي نَـبْـــذٌ صَـامـتٌ للعُنـف**» (ويتمـر 2007م، 120) فإذا كانت اللغـة أداةً لكَبْح العنف، فَمِن أينَ-إِذَنْ-يكتسـبُ العنفُ معناه؟ وعن هذا السؤالِ يجيب عالم اللسانيات الفرنسي (بـول ريكور)، قائلا» **يَكْسـبُ العُنفُ معناهُ من اللُّغـةِ أي نقيضِهِ أو الآخر، فالعنفُ الـذي يتكلَّمُ هو أصلاً عُنفٌ يُحاوِلُ أن يكونَ مُحِقًّـا، ويبدأَ بِنَـفْيِ ذاتِهِ كَعُنْف**» (ويتمر 2007م، 123)، ويـأتي اكتسـاب العنف معنـاه من اللغة لدى ريكور مـن كونِها مادةً كلاميـةً تَمُـدُّ العنفَ بالكلمات، ولسـانًا تواصليًّا، والتعبير عن اللغـة بوصفها نقيضة

للعنـف، يُؤكِّـد قيمتهـا وخيريّتها، ولـو حاولنا إسـقاط تصوُّر ريكـور على خطاب العنف لدى داعش، تلحظ مدى مقبولية هذا الرأي: «**فالعنفُ الذي يتكلَّمُ هو أصلاً عنفٌ يحاولُ أن يكونَ مُحِقًّا**» فالمتأمل لخطاب «نساء الدولة» بوصفه أنموذجًا منتميًا، وملتزمـا خطاب داعـش، يلحظ أنَّ ما يُميّـز خطابَهُنَّ أنَّه يحاول أن يسـوق الحُججَ، والبراهـينَ، للدفاع عـن مُتبنَّيـات التنظيم، وإثبـات أحقيَّة بوصفِهِ المـشروع الديني والفكري الشرعي لتمثل قيم الاسـلام وشرائعه، مُمارسًا أشدَّ أنواع العُنْف اللُّغوي، سـواءٌ كَانَ خطابًـا إرسـاليًّا تواصُليًّـا، أو سُـلوكيًّا عُدْوانيًّـا، وهو بذلـك كما يقول- ريكـور- عنـفٌ يحاول تأكيد أحقيّته مـن حيث إنَّه ينفي ذاته العنفيـة. فهؤلاء الذين يُقدِّمـون حُجَجًا اتِّكاءً عـلى عالم الكلمات المُزيَّفة كـما تقول-باربرا ويتمر-يناقضون أنفسـهم؛ لأنهم يحاولون جعل اللغة صوتًا للعنـف، واللغة بريئة من ذلك، مبينة أنّ «**جدلية العنفِ والمعنى تُوْلَدُ في الخطاب، في الكلمةِ المنطوقةِ، وفي استخدامِ اللغة؛ وفي الخطابِ فقط يتواجَهُ العنفُ مع المعنى**» (ويتمر 2007م، 123).

آفاق النص وتحليل الخطاب:

اتّسَعتْ آفاقُ النَّص في الدراسات اللسانية المعاصرة وآليات تحليل الخطاب، لتشملَ عيِّناتٍ ومفاهيمَ لغويةً وغيرَ لغوية؛ إذ يذهب (نورمان فار كلوف) أحد أبرز اللسانيين المهتمـين بالتحليـل النقـدي للخطـاب، إلى أن مصطلـح النـص اُسـتخدم في مجالات واسـعة، فقد يكون النصُّ مطبوعًا كقائمةِ المشـتريات، ومقالات الصُحُف، ومُدوَّنات المحادثات، واللِّقاءات المحكيَّة، كبرامجِ التِّلفاز وصفحات شبكة المعلوماتية ونحوها، مُعبِّرًا عن ذلك بأنَّ أيّ ظهورٍ فعليّ للغة في الاستخدام هو نصٌّ، مُبيِّنًا أنَّ برامج التلفاز عـلى سـبيل المثال ليسـت نصوصًـا لغويَّةً فحسـب، بـل فيها مـن المؤثِّـرات الصَّوتيَّة، والصُّـور المرئيَّـة، ممّـا يجعلهـا عوامـلَ تأثيريَّـة تُسـهمُ في إضـاءةِ النَّص والكشـف عن مكنونات الخطاب (فاركلوف 2009م، ينظر: 22)، خطاب «نساء الدولة» أنموذج من هذا النوع من الخطاب، وهذا مُسْـتـَقٍ من تنـوُّع مصادر خطابه بنوعيه (المنطـوق،

والمكتـــوب) وذلك بحسـب وسـائل تسـويقه إعلاميا، فالعيِّنة التي رصدها البحث تقع ضمن ما يُصنَّف بـ(الخطاب المنطوق)، وهذا الضرب من الخطاب يسمى الخطاب الشفهي الذي يقوم على الأداء الصوتي لا الكتابي الشكلي؛ إذ تتضافر جملة من العناصر الصوتية والحركية والإشـارية والرمزية في تحقق دلالته (عكاشـة 2005م، ينظر: 199) فهذا الخطاب إذن: «**ضَربٌ من تضافُر الإشارات، تَكُونُ اللُّغةُ فيه عُنْصرًا تمثيليًّا من بين عنـاصر إشـارية أخرى**» (الزواوي 2000م، 143)، لذا تُعَـدّ اللغة المنطوقة هي» **الكَلامُ التِّلقائيُّ المَصُوغُ صِياغةً حُرَّةً في مواقفَ تبليغيَّةٍ طبيعيَّة**» (العبد 1990م، 61).

وخطاب من هذا النوع يختلف عن الخطاب المكتوب؛ لأنه خطاب فضفاض يعتمد عـلى التلقائيـة والمبـاشرة والإصغاء، وتتنـوع فيـه أدوات التحليل والقـراءة، مما يمنح المتلقـي تصورا دلاليـا واضحا عمّا يضمره المتكلم من مقاصـد، لكونه يتعامل مع نص شـفاهيّ يتصـف بالحركية، وليس نصـا كتابيا سـكونيا، فيبدو خطاب «نسـاء الدولة» خطابا شفاهيا منطوقا، فمن هنا «**تقدم الجدالات الشفوية أو المكتوبة بين تنظيم الدولة والقاعـدة مـادة نموذجيـة للتحليل**» (الخطيـب، 187)، تتجـلى فيها الأنسـاق اللغوية للخطاب لتوافر ظروف القول، ومسوغات إنتاجه فيها، كما سيتبين ذلك.

استراتيجيات العنف في الفكر الداعشي:

المتصفـح لكتـاب (**إدارة التوحـش**)_لأبي بكـر ناجـي أحـد أبـرز منظـري الفكر الداعشي_ يتعرّف سَـمْت خطاب العنف الذي تنماز به الجماعات المتطرفة؛ ولاسـيما في المِفْصل الذي يتناول السياسـيات والقواعد التي تحقق مرحلة «**الشوكة والنكاية**» التي تمثّـل أهمَّ مرحلة في إنجاز ما يسـمى إدارة التوحش؛ ليتبيّن لك كيف يتشـكّل خطاب العنف لدى داعش. وبالوقوف على عدد من نصوص هذا الكتاب نرى أن مرحة الشوكة والنكاية تتحقق بالاعتماد على مجموعة اسـتراتيجيات، ولعلَّ أهم استراتيجيتين يتعبهما التنظيم في تسـويق خطابه العنفي الاتكاء على استراتيجية (اعتماد الشدة) واستراتيجية

(تحقيق الشوكة)، فالأولى تنطلق من رؤية التنظيم لفريضة الجهاد القائمة على التنعيف والشدة: «**ومن مارسَ الجِهادَ من قَبْلُ، عَلِمَ أنَّ الجهادَ ما هُوَ إلا شِدَّةٌ وغِلْظَةٌ وإِرْهَابٌ، وتَشْرِيدٌ وَإِثْخانٌ- أَتحدَّثُ عن الجهادِ والقِتَالِ لا عن الإسلامِ، فَلَا تخلط-**» (ناجي، إدارة التوحش، ينظر: 31 و32)، وهاتان السِّمتان (الغلظة والشدة) من مبتدعات أبي بكر ناجي نفسِهِ، وعبد الله المهاجر (الخطيب، ينظر: 193). وللباحث على النص ملاحظ، منها: اختزال فريضة الجهاد المباركة، وجعلها رديفةً لمعنى الإرهاب والشدة والغلظة، وهذا اختزالٌ يتقاطع مع مفهوم الجهاد في الشريعة الإسلامية، وإن قُصِدَ من النصّ إظهار سمات الجهاد، وما يقوم عليه من شرائط، بيدَ أنَّ قصر الجهاد على مفاهيمَ محظورةٍ في المجتمع الدولي المعاصر كالإرهاب والشدة وغيرها من سمات العنف، من شأنِهِ أن يعزِّز بعض الافتراضات الدولية المتطرفة التي ترى في فريضة الجهاد، منهجًا مَبنيًّا على العدائية، وإذكاء روح التنازع والخصومة، لدرجة أنْ تُرجِمَ مفهوم الجهاد إلى مصطلح الإرهاب للنَّيْلِ من مضمونِهِ في المِخْيال الغربي، كما يقول الدكتور معتز الخطيب (الخطيب، ينظر: 28). ويُظهر النصُّ أيضا اضطرابًا عَقَديًّا واضحًا، وهو يفصل بين الجهاد بوصفِهِ ركنًا من أركان الدِّين الإسلامي، والإسلام نفسِهِ، فحين يتحدَّث عن السمات العنفية المتوافرة بالجهاد-على حدِّ زعمِهِ- كالغِلْظة والإرهابِ والشدّة والتشريد، فهذا حديثٌ ينبغي ألّا يتداخل ومفهومَ الإسلام!.

ويذهب أبو بكر ناجي في التنظير والتأصيل لهذه الاستراتيجية إلى سرد قرائن وعلائق تاريخية تستند إلى كُتُب السير والمرويات الحديثية، مستشهدًا بحركات جهادية اتَّخذت من الشدَّة، وإراقةِ الدِّماءِ منهجًا للدفاع عن أنظمتِها السياسية، فضلا عن العمل بالضرورة على تطبيق ما يسميه (**سياسة دفع الثمن**) وهي سياسة قائمة على التنكيل، والترويع، والقتل، والمساومات، وإثبات الذات؛ لبثِّ اليأسِ في نفوس العدوّ، وإرعابِهِ بشتى وسائل العنف والتطرف (ناجي، إدارة التوحش، ينظر: 31 و32).

أما الاستراتيجية الثانية (تحقيق الشوكة) (ناجي، إدارة التوحش، ينظر: 34)،

فيراهـن قـادة التنظيـم في تحقيقها على ولاء المنتمـين وطاعتهم وفدائهم لهـؤلاء القادة، والـذي لابد أن يصل لدرجة الفنـاء والهلاك دونهم، متَّخذين من مقولـة: (**الدَّمَ الدَّمَ، الهَـدْمَ الهَدْمَ**) (المباركفوري 2007م، 149)، التي قالها النبي في آنٍ وظرفٍ يختلف عمَّا هو عليه الحال، بالنسـبة لعنـاصر التنظيم المتطرفة، وقصّة هذه المقولـة تُلخِّص بيعة العقبة التاريخيـة في المدينة المنـورة، ووفاء النبي لحلفائِهِ في الأوس والخـزرج بعدم التخلي عن المناصرة لهم في أحلك الظروف وأيسرها؛ لما وَجَدَهُ فيهم من تصديق دعوته، ومناصرته إليـه من كُفَّـار قريشٍ آنذاك، وهي قصَّةٌ طويلةٌ لا يسـمح المقام بسردهـا، بيد أنَّ الفكر الداعشي وبقراءة تعسُّـفيَّة حـاول أن يُوظِّف النص توظيفًا مؤدلجًـا، متَّخِذًا إيَّاه منهجًا وتجربةً مُسـتخلَصةً من التُّراث الإسلاميّ لضرب دَرْسٍ لأتباعه في العهد بالبقاء أوفياءَ للتنظيم مهما يتعرَّض لأزمات.

وهذا التركيب في الوقت الذي يمكن قراءته قراءةً توافق ظروف الحال تاريخيًّا، بأن ينـدرج في مَعرِض الالتزام الأخلاقي، إزاء موقفٍ أخلاقيٍّ مُمَاليءٍ وممانعٍ، في حين يَقرأه المِخيـال الداعـشيّ المسـكون بالعُنف قراءةً تسـتبطن الأَزْهَبة، ومبـدأ الإخافة، وتعزيز اعتماد الشدة.

القسم الثاني (الإجرائي):

خطاب «نساء الدولـة» عيِّنـات تحليـلية

أولا: داعش واستلاب لغة الخطاب الأنثوي:

تترك أحاديث نساء داعش القابعات في مخيَّم الهول - بوصفهنَّ أنموذجًا مُهمًّا كاشفا لصـورة حياة المرأة في المجتمعات المُتطرِّفة- تترك على كُلِّ من يتلقّاها انطباعًا إدهاشـيًّا يدعـو للمفارقـة، والتعجُّب من طريقة التحـوُّل الثقافي لخطاب المـرأة، بوصفه خطابًا أنثويًّا يسـتدعي اسـتحضار ملامح الأنوثة اللفظية والسـلوكية المتمثلـة باللين والرِّقة، والهدوء، والحياء، إلى خطاب وَعِرٍ وفَظٍّ صارخٍ ومتنكّبٍ بألفاظ قليل ما تشهد تصالُحًا

أو تقارُبًا تاريخيًّا مع مُعجم المرأة اللغوي في الاستعمال الطبيعي الذي يناسب وضعها البيولوجي الأنثوي، وهي تُسوِّغ للعالم بطروحاتها أفكارًا إقصائيَّة متطرِّفة، كتسويغ الذَّبْح، والتكفير، والجهاد الجنسي أو مايسمى (جهاد النكاح)، والانتحاريَّات، والقتال الذي تلهج به ألسنتُهُنَّ الحادَّة قولاً وممارسةً، جنبًا إلى جنبٍ مع عناصر التنظيم ضدَّ من لا يوافق العقيدة الداعشية وغير ذلك، فإذا كانت دعوات إنصاف حقوق المرأة تتعالى في العالم احتجاجًا على ما تلاقيه من عنف في بعض المجتمعات الذكورية المتشدِّدة، فكيف عساها أن تتلقَّى هذا التبني المُفارِق والغريب من نساء داعش لخطاب العنف، وتسويقه نَسَقًا جديدًا مُضادًّا لنوعِها الاجتماعيّ، تفرضه مُتطلّبات دولةٍ من صِنف داعش؟

هذا التحول الثقافي في طبيعة المرأة وخصائصها البيولوجية- أشبه ما يكون بما نسمع عنه من حالات التحوُّل الجنسي الشاذّ في عدد من بلدان العالم. وتتزاحم إزاءَ وضعٍ مثل وضع «نساء الدولة» أسئلة تدور في فلك هذا التحول، منها: هل انقلبت المرأة على ذاتها وأنوثتها وجنسها؟ كيف اُستلبت لغة الخطاب الأنثوي لديها؟ وما القُوَّة أو السُّلطة الفاعلة التي أحدثتْ أو أَنْتَجَتْ هذا التحوُّل الثقافي المُتَّسم بالغلظة اللِّسانية للمرأة الداعشية؟

لاشكَّ أنَّ وراءَ كُلِّ ذلك أسبابًا ومُسوِّغاتٍ استدعت هذا التحوُّل، لعلَّ من أهمِّها ترسيخَ فكرة الجهاد والقتال، ضدَّ ما يُسميه التنظيمُ في سِياقاتِه الخطابية القارَّة (بالكفرة والمرتدين والخارجين عن الملة)، واستخدام النساء دُرُوْعًا بشريَّة في المعارك، وتجنيدهِنَّ انتحاريات، ممَّا جعلَ هذا الخِيارَ لدى عددٍ منهن خيارًا إيثاريًّا مُحبَّبًا لديهِنَّ بغضِّ النظر عن العاقبة، فلو تأمَّلنا في الحوار الآتي الذي تسأل فيه المذيعة عن سبب تسليم أنفسهِنَّ للأكراد السُّوريين لا إلى النظام السوري، وفكرة استساغة الجهاد: (**نَحْنُ نُقاتِلُ النِّظامَ والشِّيْعَةَ، مُشيرةً بسبَّابَتِها «للمذيعة»، أَفَهِمْتِ؟ ثُمَّ تظهر بعضُهُنَّ ندامتَها قائلةً: نادماتٌ؛ لأَنَّا لم نَبْقَ في الباغوز، وقُتِلْنا في سبيل الله، ثمّ تَسْتدركُ المذيعةُ مُسْتَفْهِمةً:**

قاتلتم؟ الإجابة: لقد دَخَلْنَا في عُقْرِ ديارِ الكُفَّار، وأسالُ اللهَ أَنْ يَسْتَخْدِمَنا ولا يَسْتَبْدِلَنا، فعقيدتُنا غَرَسَها اللهُ، لا ترامب ولا أميركا، ولا اليهود، ولا الكُفَّار، ولا الشيعة، ولا الأكراد، ولا الأسايش ولا أحدَ يستطيعُ أَنْ يَزِيْلَها، وهذه العقيدةُ غُرِسَتْ حَتَّى في أطفالِنا، ولله الحمدُ والمِنَّةُ)، (الحوار التلفزيوني (ما لم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (من 11:25 إلى 11:50).

نستشفُّ من هذا الخطاب استعارة الخطاب اللغوي الذكوريّ المشحون بألفاظٍ إلغائية وعبارات أنوية متضخمة: (**نحن نقاتل النظام، والشيعة**)، (**دخلنا في عقر ديار الكفار**)، (**عقيدتنا غرسها الله... ولا أحد يستطيع أن يزيلها**)، وهذه الاستعارة الذكورية تمنح الخطاب صفة الغِلْظة والجَلَد، والظهور بمظهر النساءِ المسترجلة، وبالرُّوح الانتحارية المستميتة، لأنَّها منطلقةٌ من عقيدة أَنَوِيَّة إلغائية لا تؤمن بالتعدُّدية، وقبول الآخر، فقولهن: (**لا أمريكا، ولا اليهود ولا الشيعة، والكفار، والأكراد ووو**) ينفي التعددية، ويُدلّل على أنَّ المَنطقَ الداعشي مَنطقٌ يعتقد أنَّ اللهَ لم يُخوِّل سواه في إدارة شؤون البلاد، أو بمعنى آخر أن الحق الإلهي معقود بداعش أَنَّى دار يَدُرْ. وهذا يشير إلى حالة من تشظّي الهُويَّة، واستنفارها ضد أي عدو داخلي أو خارجي لا يوافق توجهاتها (العدوي 2006م، ينظر: 42).

وقولهن: (**وأسال الله أن يستخدمنا ولا يستبدلنا**) يمثل التفويض الجسديّ والنَّفْسي، والعقديّ للجهاد والاستخدام العسكريّ، وهذا التَّفْويض ضَرْبٌ من العُنف ينعكسُ على بِنْية المرأةِ الدَّاعشية وخطابها اللغوي، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى تلحظ أنَّ هذا التَّوجُّهَ الداعشيّ-الذي كثيرا ما يُسوِّغ أفعاله بالمنطق القرآني والحديثي- يناقض الشريعة السَّمْحَة التي حَفِظَت للمرأة حقوقَها بعدمِ جعل فريضة الجهاد واجبةً عليهن، بل يتعدَّى الأمر إلى الوصاية النبوية الحسنة، واللينة بالمرأة (**واسْتَوْصُوْا بالنِّساءِ خيرًا فَإنَّهُنَّ عِنْدَكُم عَوَانٌ**) (الطبرسي (1320هـ)، 14: 251) و (**ورِفْقًا بالقَوَارِيرِ**) (المازندراني (558هـ) 1956م، 1: 128)، فحين يغيب الرفق، ويحضر الاستخدامُ العنيفُ يَخْشَوْشِنُ

طَبْعُ المرأةِ، فينعكسُ على طباعها وعادتها الثقافية.

ولنا أن نجد في بعض الطروحات الثقافية واللُّغوية ما يُوجّه لغة الاستلاب في خطاب المـرأة الأنثوي؛ إذ يرى الناقد الدكتور عبد الله الغذامي الذي عقد دراسـة مهمة عن لغة المرأة وعلاقة مصطلح الفحولة بالأنوثة بوصف الأولى لغة الهيمنة الكتابيَّة، والأنوثة لغة الاس تلاب الثقافي، يرى أنَّ: «**حُدُوثُ فعلِ الاسْتِلابِ، وبَخْسُ الحقوقِ يَعْني بالضَّرورةِ أنَّ هُنـاك حُقُوقًـا، وأنَّهـا مُعْطًـى طبيعيٌّ، وليسـتْ مُكْتَسَـبَةً؛ لذا صـارتْ قَابلَـةً للبَخْسِ والاسـتلابِ، وأنَّ التأنيـثَ في اللغـةِ لُهُوَ حَقٌّ طَبِيعـيّ، وصِفةٌ جَوْهريَّةٌ، ويجري اسْـتِلابُ أُنُوثةِ اللُّغةِ بتذكيرِها، وردِّها إلى أصلٍ مُفْتَرَضٍ. وتظهرُ المرأةُ، وكَأنَّها كائنٌ طَبِيْعيٌّ مُطْلَقُ الدَّلالـةِ، تامُّ الوجودِ مِنْ حَيْثُ الأصْلُ، ولكنَّها تَحَوَّلَتْ بفعلِ الحَضَارةِ والتاريخِ إلى كائنٍ ثقافيٍّ جَرَىَ اسـتلابُها وبخْسُ حُقُوقِها؛ لتكونَ ذاتَ دَلالةٍ مُحَدَّدةٍ وَنَمطيةٍ، ليسـتْ جَوْهَرًا، وليستْ ذاتًا، وإنَّمَا هي مجموعةُ صفاتٍ**» (الغذامي 2006م، 16).

يشـير كلام الغذاميّ -فيما يشـير إليه من أسـباب الاسـتلاب- إلى بعد لغوي ثقافي يفـترض (**أن الأصـل في اللغة التذكـير والتأنيث فرع فيهـا**)، وهذا النـصُّ يُصادر حقًّا من حقوقِها الثقافية، وهذا مُتأتٍ من ظلم التاريخ والحضارة والسـلطة الذكورية التي كثيرا ما هَمَّشـت دور المـرأة ثقافيًّا واجتماعيا، ولاترى فيها أكثر مـن كونها كائنًا مُنكسرَ الذَّات، عاطفيَّ الغريزة، قابلا للتبعية الذكورية؛ ابتداءً من تاريخ الوأد، واحتكار زمام الثقافة للرجل، والنظر إليها بما لا ينبغي، لدرجة أن تُصَنَّف كُتُبٌ في ذلك، مثل كتاب: (الإصابـة في منع النسـاء من الكتابـة لخير الدين ابن ابي الثناء)، وليسـت انتهاء بتاريخِ مـن التفديـة بالمرأة؛ لإطفاء نـار النزاعات والخصومات القبليـة والمعبر عنها في العصر الحديـث -قهرا- بـ (الفصلية)ـ أو المتاجرة بالرقيـق، وامتهان الكرامات، وغيرها من مظاهر العنف البشري، لذا تجد أن المرأة بشكل عام عاشت قرونا من الضغوط والحَيْف والظلـم والمصادرة، فـلا غرو إن وجدتها تُقدِّم جَرَّاء هذه الضغـوط التاريخية تنازلاتٍ ثقافيـةً وحياتيـة واجتماعية، فتُخاطِب بلغـةٍ ذكورية، وتؤدِّي مهـامّ ذكورية، لتكون في

النهاية ذاتًا مُشوَّهة، وعنيفة ومعنَّفة، مُخشوشنة الطباع، وفَظَّة اللِّسان، وكُلّ ذلك نتيجة ردود فعلٍ قهريَّة تُمارَس ضِدَّها.

ثانيا: ألفاظ العنف وتراكيبه في المخبر التحليلي:

يحفل الخطاب الداعشي بسيولةٍ لغويَّة كبيرة من ألفاظ العنف، وتراكيبه؛ تَبِعًا لما يُشَكِّله النتاج الذهني الكلامي لخطاب داعش من نصوص وأساليب عنفية ذات لغة بلاغية عالية المضامين، يمكن أن تؤسس لمشروع أو حقل معجمي خاص، إذ تتعدد (ترسانة) داعش الإعلامية -كما سمَّاها التقرير الراصد لبيت الإعلام العراقي- بين وسيلة صحفية أو إعلامية فضلا عن المواقع الإلكترونية، ووسائل التواصل الاجتماعي (السوشل ميديا) ومختلف المنتديات المنتشرة على شبكة الانترنت والتي تبث بمختلف اللغات العربية والانجليزية والكردية والروسية ونحوها (ينظر: ترسانة داعش الإعلامية، موقع بيت الإعلام العراقي)، فهذه الترسانة الإعلامية أنتجت لنا ألفاظًا وتراكيبَ عنفية سمَّمَت المُناخ اللغوي، وعكَّرت أجواءَه، وجعلته يعجُ بالثقافات العنفية، وخطاب الكراهية والتطرُّف، ومن هذه الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر: **(الذبح والتقتيل، والتكفير، والمرتد، والطاغوت، والسبي، والانغامسية، والنكاح، والرافضة، والصحوات، ونحو ذلك)** وعلى صعيد التراكيب: **(جئناكم بالذبح، قاتلوهم، تكبير»الله أكبر»، نجاهد المرتدين، إقامة شرع الله، صليل الصوارم، الطائفة الممتنعة، أعوان الظالمين، المرأة المهاجرة)** ونحو ذلك من التراكيب المستعملة لديهم.

والسؤال المهم الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، ما الجديد الذي أضافه السياق اللغوي الداعشي إلى هذه المفردات الموجودة أصلا في معجماتنا العربية، والتراكيب المستعمل قسم منها في تراثنا العربي والإسلامي؟

إن ما فعله التنظيم أعاد استحضار تاريخية هذه الألفاظ ووقائعها، وإحياءها وشحنها من جديد، موظِّفًا إيَّاها بحسب التسويق الذي يرمي إليه خطابه، ولا يعدم

الاستعمال اللغوي العنفي أضافة ألفاظ مولدة إلى معجماتنا المعاصرة، كلفظة (داعش) نفسها وما يتبعها من اشتقاقات إلتزامية كالتفخيخ، والتلغيم بمعناهما المُحَدَّثينِ، وما يستتبعهما من تصريفات لغوية: المُفخِّخ، والمُفَخَّخ، الفِخَاخ، وكذا المُلغَّم، والملغوم، واللَّغم، ونحو ذلك، نتيجة الاستعمال اللغوي في خطاب هذا التنظيم وحواضنه البيئية.

فتلحظ أن لغة العنف متحقِّقة في مختلف المستويات اللُّغوية، فعلى صعيد المعجم والدلالة فإنها تنتمي إلى قاموس السُّباب والشتم والتهديد والتعنيف والتجريح، والمواضيع المحظورة كالجنس وخدش الحياء وغيرها، وهي على المستوى الصرفي متحققّة على هيئة أفعال وأسماء وباشتقاقات وبنى مختلفة، وكذا على المستوى التركيبي، باستعمالها جملا وتراكيب ونصوصًا مختلفةً، أمَّا على المستوى التداولي، فتمثِّل ألفاظُ العنف، وأساليبُهُ أفعالا لُغويَّة إنجازية وتأثيرية، تُحقِّقُ وظائفَ تداولية معينة، وتسهم في بناء الخطابات العنيفة وتخصيصها بنيويا ونمطيا (أ. د. مراد، ينظر: 4).

ينطلق الفكر الداعشي في تسويق لغته العنفية من تابوهات الدين، والتَّوسُّل بالكتاب والسنة، وسيرِ الصحابة والتابعين، وإيجاد تسويغ أو دليلٍ للعنف اللغوي، سواءٌ كانَ قولا لفظيًّا، أو فعلا مادِّيًّا؛ فقد أوضحنا سلفًا أنَّ العنف اللغوي حَدَثٌ كلاميٌّ وسلوكيٌّ، وهذا ما تراه بعض الأنظار الاجتماعية تحوُّلا وتطرفا في الخطاب الديني باتخاذ الإقصاء والتكفير منهجًا إزاءَ كُلِّ رأيٍ أو عقيدةٍ تختلفُ مع خطابِهِ (زايد 2000م، 12-13).

وهذه الأنوية العقدية جعلت «**جماعات أمثال «داعش، «تُزيِّن لهم نِرجسيّتُهم الدينيّةُ أنّهم مُلّاكُ الحقيقةِ والعَقِيْدةِ النَّقيّة، وأنَّهمْ يَحْتكِرُونَ الحُلُولَ النَّاجِعَةَ لمُعَالجَةِ مُشْكلاتِ الإنْسَانِ المُعَاصر**» (العسراوي 25/ 7/ 2018، مقال منشور على الموقع).

وهذا ما سنلمسه جليًّا في تحليلنا لما ورد من ألفاظٍ وتراكيبَ لغويَّةٍ عنفية وردت

في الحوار التلفزيوني المسجل مع عَدَدٍ من داعشيَّات مُخيَّم الهول، والتي يمكن فهرسة موضوعاتها بحسب ما تفرضه موضوعات الحوار المسجَّلة في اللِّقاء:

- التَّكفير (إطلاقُ السِّياقِ وَأَدْلَجَةُ النَّص):

طُرِح موضوع (التكفير) في الحوار المُتلفز الدائر مع (نساء الدولة) كأكثر الموضوعات المُناقَشَة جدلا، بوصفِهِ ثِيْمةً أو سِمَةً بارزةً في خطاب داعش، وكان جوابُ إِحْدَاهُنَّ عن سؤالِ المذيعة عن الأدلَّة التي يُستند إليها في التكفير، بأننا: «**نَسْتَنِدُ إلى ظَاْهرِ قَولِهِ تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة: 14 مؤكدةً للمذيعةِ المُعْتَرِضةِ على طَرِيْقةِ تكفيرِ النَاسِ أنَّ: (هذا أَمْرُ الله، والكُفَّارُ لا يَتْرُكُوْنَا فَنُقاتلُهم.... وأخرى: تَقُوْلُ:)نَحْكمُ بالظَّاهِرِ واللهُ يَتولَّى السَّرائرَ**» (الحوار التلفزيوني (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (من 6:40 إلى 8:52)).

ومن أدلَّة التكفير تقول إحداهُنَّ للمذيعة التي تَسْأَلُها عن الجهاد، وسبب التحاقِها بداعش: «**جَاْهَدْنا وَقَاتَلْنا مُرتدِّين، لانَّ الرَّسُولَ يقول: (لا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاْتِلُهُ في النَّار)**» (الحوار التلفزيوني (زايد 2000م) (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (15:04 إلى 15:49). الكشف وتحليل العناصر اللغوية واللسانية والتداولية لهذا الحوار الشفاهي، لابُدَّ أن ينطلق من العتبة الأولى في التفسير، ألا وهي معنى التكفير في المعجم العربي، وما يضمره من حمولاتٍ وأنساقٍ دلالية مُتعدِّدة يُحدِّدُها سياق الاستعمال، فـ(التكفير) مُشْتقٌّ من الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف (كَفَّر)، ويأتي لمعانٍ مختلفة، منها: هو (**حنث اليمين**) و (**ستر الذنوب**) و (**الإيماء أو التعظيم أو الانحناء للملوك**)، و (**تكفير اليدين في الصلاة: التكتف أو وضع اليد على اليد**) وغيرها من المعاني، والتكفير (**النسبة إلى الكفر**)، فتقول كفَّرتُ الرَّجُلَ، أي: نسبتُهُ إلى الكُفْر، والخُرُوْج عن الملّة، والمعنى الأخيرُ هو ما يُمثل مَرْكزيَّة الحوار، ومقصديَّته، فضلا عن أنَّ الجذرَ اللُّغوي للفظة (**ك ف ر**) يدلُّ في أصلٍ معناهُ على هذا المعنى (ابن منظور 1956م، ينظر: مادة (ك ف ر)).

لـو أردنـا حصر منطق التكفير، وأُسّـه الذي بموجبه أُبيـحَ، لوجدنا مقولة «**نحكم بالظاهـر والله يتـولى السرائر**» التي استشـهدت بها إحدى (نسـاء الدولة) تكشـف عن رؤيـة التنظيـم في التعامل مـع ظاهر النص، سـواءٌ القـرآنيُّ، أو الحديثـيُّ، أي إخضاع النـص لقراءة أُحاديَّةٍ، وتوظيفه توظيفًا مؤدلجًا، فالعمل بمنظومة (الحكم بما أنزل الله) الجهاديـة على إطلاقها ومن دون مراعاة شروطها وقرائنها، قد يشـكل أبرز الأسـباب التـي تنتج، وتبيح لنـا منطق التكفير، تفكير الحـكام الذين يحكمـون بالقوانين المدنية، وتكفـير البلـدان التـي يحكمونها وإباحـة دماء أهلهـا، فمن هنـا وجد التنظيـم فرصةً وذريعـةً لمواجهتِهـم، وإقامـة الحكم الإسـلامي، وتطبيـق الشريعة وتَنصيـب الخليفة الشرعـي (الخطيب (د.ت)، 193) (الخطيب 20/ 11/ 2014، بحث منشـور في موقع) (السيد وفارس وزيجر، 2017م، 10، بحث منشور على الموقع).

فهـذه الـرؤى فوَّضت عنـاصر التنظيـم في الحكم على ظاهـر قوله تعـالى (**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُـمُ اللهُ بِأَيْدِيكُـمْ**...) وانتـزاع صفـة الأَمْريـة (قاتلوهـم) وتوظيفهـا حقّـا مطلقا لقـادة التنظيـم، لذلك تجد صوت هذه النسـوة يبدو عاليـا وواثقا، كأنهن يُشْـعِرْن بأنَّ للتنظيـم الـذي ينتمين إليه اليدَ الطُّـولى في هذا التفويض، مُتجـاوزاتٍ في أدلتهن فكرة صحة الروايات والأحاديث المستشهد بها، كما هو حال البنية الفكرية التي ينطلق منها التنظيم[1].

يبـدو أن سياسـة التكفـير تنبع من الفكـرة الظاهرية والمطلقة في فهم سـياق النص الدينـي، ومحاولة اللَّعب على ما يمكن أن نُسـمِّيه تَجَوُّزًا (فكرة تخوين منطق النص) أي أدلجته، ومحاولة سـلب صفة القداسـة منه، وإضفائها على ذات المُسـتلِب على نحو من التخويل أو التفويض أو احتكار الشرعية لو جاز التعبير.

(1) يثير الحديث المنسـوب الى النبي صلى الله عليه وآله (نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) خلافا بين علماء الحديث، بشأن مدى صحته، وإثباته له، لدرجة أن استنكره قسم من العلماء كابن كثير، والشوكاني وغيرهما. ينظر: تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب: (1/ 174). ونيل الأوطار: (1/ 369).

- تسويق الذبـــح: بين ضمائم النص وفخاخ البلاغة:

تُعَدُّ لفظة الذبح من أكثر الألفاظ عُنْفًا وشدةً وغلظةً وإثخانًا، والذبح في اللغة: هو «**الشَّـقُّ**»، أو هـو «**قَطْعُ الحُلْقُوم من باطنٍ عند النَّصِيل، وهـو موضع الذَّبْحِ من الحَلْق**» (ابن منظور 1956م، ينظر: مادة (ذ ب ح)).

وهو من اسـتراتيجيات الإخافة المشـددة لدى داعش لتحقيق الشـوكة. لما في القتل بقطع الرأس من الغلظة والشـدة، ويكشف الحوار عن أن: «**إحدى النساءِ الداعشياتِ تستندُ في إجابتِها عن سؤالٍ للمذيعةِ بشأنِ ممارسةِ طُرُق القتلِ البشعةِ التي يَتَّبِعُها التنظيم، إلى قوله تعالى:** ﴿سَـأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال: ١٢ **بمدِّ الألف في لفظة (الأعناق) بنحوٍ مفخَّم، وجَرْسٍ نَغَمِيٍّ عالٍ في القراءة، محاججةً بتفسـير القران الكريم، ومؤكدةً أن الذبح سُنَّةُ رسولِ الله، والصَّحابةِ والتَّابعـينَ والخُلفاءِ الراشـدين، وهذا كَلامُ الله ليسَ من رؤوسِـنا، ثُـمَّ قَطَعَتْ إحداهُنَّ الـكلام، لكـنْ كانت النِّسـاءُ والرِّجـالُ يقاتلونَ ليـس بشرًا بـل يقاتلون آليـاتٍ ودَبَّابةً ومِدْفعيةً وطَيَرانًا، وقناصًا، ولا أحدَ يسـتطيعُ النُّزولَ لهم بريًّا- وَجْهًا لوِجْهٍ-**) (الحوار التلفزيوني (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (من 10:04 إلى 10:40).

لحظة اسـتماعك قراءةَ إحـدى هؤلاءِ النِّسْـوةِ للنَّص القرآني، وتحديـدًا لحظةَ نطقِها لفظةَ (الأعناق) بطريقةٍ تسـتطيلُ بها ألف / أع/ نا!!!!!/ ق بحيث تشعر بأرْهَبة اللفظة، وصَعْقِها بشُـحْناتٍ سلبيَّة مُنشِّزة، تُولد لدى المتلقِّي ذُعْرًا وتَطَيُّرًا، مُخِيْفَيْنِ عندَ سماعِها؛ لذلك «**قد يرتبطُ طُولُ الصَّوتِ وقُصرُهُ بقُوَّةِ المعنى وضَعْفه، أي حَسْبَ الغرضِ المقصودِ تبليغُـهُ، وعلى هذا الأسـاس تُعَدُّ العلاقة بينَ الصَّوتِ اللُّغـوي، ومعانيه في العربية طاقةً تعبيريَّة**» (مهاوي 2013م، ينظر: 91) وهنا مارسـت المخاطبة نوعًا من الأداء القصدي في اللفـظ «**فللنـبرِ في الكلـماتِ قِيْمَةٌ أَدَائيَّـة، وَوَظِيْفَةٌ دلاليَّـةٌ مائزةٌ لنَـوْعِ المفردةِ، وذلك بالضَّغطِ على أَحَدِ حُروفِها أو مَقْطَعٍ من مقاطعِها، وما يَتْبعُ ذلك من وضوحٍ في السَّمع، وبيانٍ للمقصد**» (عكاشة 2006م، 174)، وهذا الأداء اللفظي يناسب جَوَّ الآية وسياق

الإخافة المنساقة فيه: (**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**). أما نسب فعل الذبح إلى السُّنة النبوية، وسير الصحابة والتابعين، وحمل الذات على التنكُّر للفعل، بقولها: (**إن الذبح سنة رسول الله و... وهذا كلام الله ليس من رؤوسنا،**) فَيُعدُّ سياسةً تبريريةً لإيقافِ التفكيرِ النقديّ لدى المتلقي، وإيهامه بتابوهات القداسة، وحَمْلِهِ على منطق التوافُق التام والتسليم المطلق، وهذا ممَّا دَرَجَهُ بعضُ الباحثين تحت مسمى (فخاخ البلاغة)، وذلك من طريق حشد العبارات والأساليب البلاغية لتحقيق حالة إقناعية، وتعطيل التلقي النقدي (عبد اللطيف 2014م، ينظر: 336).

ويكشف النصُّ أيضا عن بعض ضمائمِ فعل الذبح السياقية، واتِّخاذه مُسوِّغًا سُلُوكيًّا نحو عقيدة العنف لدى هذه النسوة، قولها: (**كانت النساء والرجال يقاتلون ليس بشرا بل آليات ودبابة ومدفعية وطيران...**) فممارسة الذبح بحق الخصوم، جاء هنا ردة فعل، يمكن وصفها بالتباري الوحشي في بشاعة الفعل ورد الفعل. وتدرج بعض الدراسات النفسية «**سلوكُ الذّبح في سياق الحرب النفسية/ الدعائية، بهدفٍ رئيسٍ يَتَمثّلُ في تحسينِ جهودِ التَّجنيدِ، وحَشْدِ النَّفسيَّاتِ الثأريَّة، وبناءِ قوَّة عسكريَّة أكبرَ للتنظيم**» (ينظر: الصغير6/ 2/ 2015م، دراسة منشورة على موقع إضاءات).

لذلك تعد هذه الاستراتيجية واحدة من أبشع الأفعال الداعشية عنفا؛ لكونها تتقاطع مع الشرائع السماوية التي يدَّعونها، ليصل الأمر إلى أن النساء اللواتي يُحملن على لين الطباع والرقة، أخذت تدافع عن فعل الذبح، بوصفه وسيلة من وسائل إقامة أركان هذه الدولة المزعومة، متجاوزة الغريزة الوحشية التي تلف قلوب مرتكبي هذا الفعل الشنيع.

- (التكبير) إفراغ المعنى من (التعظيم) إلى (التهويل)

نَحْتٌ مختصر لتركيبِ (الله أكبر) أفرغ تنظيم داعش، والجماعات المتطرفة الأخرى محتواه الدلالي من صفةِ التعظيم والتكبير لله تعالى، إلى وحدة لغوية تدلُّ على التهويل

والعنـف، وتنبـئ بفِعْلٍ عنفيّ آتٍ، والتَّكبير في اللغة: التعظيـم، وقَوْلُكَ اللهُ أكبرُ كَبِيْرًا، دليلُ التعظيم، والتنزيهِ عَمَّن سواه، وفي مَعْرِض سؤال المذيعة لعددٍ من (نساء الدولة) «**هـل أنتـنَّ نَادِمَـاتٌ؟ تُجِيْـبُ إحداهُـنَّ، لا، وتصيـحُ الأخـرى بلفظـةِ (تكبير) فـتُرَدِّدُ البَاقِيَاتُ: تَكْبِير**» (الحوار التلفزيوني (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (من 13:03 إلى 13:44)).

والتكبـير كلمـة عظيمـة تـدل كما أشرنـا على عِظَـمِ الخلائـقِ وكبريائـه في النفوس والقلـوب، وهـي طَقْـسٌ عبـاديّ دأب المسـلمون على ترديدِهـا في مواضـعَ وطقوسٍ عبادية كثيرة؛ تَبرُّكًا واستعانةً، أو هي «**ذكرٌ مَأْثُورٌ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ مَهُوْلٍ، وَعِنْدَ كُلِّ حَادِثِ سُرُوْرٍ، شُـكرًا لله تعـالى، وتَبْرِئةً له من كُلِّ ما نَسَـبَ إليه أعداؤُه**» (العسـقلاني 1379م، 2/ 438)، وتطلـق في مواضـع كثيرة منهـا التكبيرة في الأذان والصـلاة، والأعياد، وفي غلبـة المسـلمين في المعارك، وأيام الشـدة والأهـوال وغير ذلك. غـير أن تنظيمَ داعش جعل من هذا التركيب مقولةً تَسْـتَحْضِرُ العُنْفَ، وتَسْـتَبْطِنُ الـرُّوحَ الثَّأْرِيَّةَ، وتُعَبِّرُ عن التَّشَفِّي، فتوظيفُ النَّسْوة لهذا التركيب يندرج في سياق الاستعمال الداعشي، منها: عندَ ذبحِ بعضِ الرَّهائن أو ما يُسـمّيهم (الأعداء أو الكَفَرة أو المُرْتدين)، أو تنفيذ عمليات عسـكرية وغـير ذلك، ففي لحظة عصف ذهنية إزاء سـؤال المذيعة عـن نَدَمِهن لما آلت إليـه أحوالُهُـنَّ في هـذا المخيَّـم، بدأت أصـوات الرفـض، ومحاولة التَّدليـس عن صور الانكسـار والندم، وسـوء الحال الذي يعانينه، بإطلاق كلمة التَّكبـير التي أُفْرغت من محتواها القيمي الأصيل إلى محتوى متراجعٍ قيميا ودلاليا، وصار يرتبط بالعنف ويقرن بالخوف، والفزع. فتحـول طقس التوظيف الديني لكلمة (التكبير) لدى داعش الذي أخرجهـا عن محتـوى البيئـة اللغوية التي اسـتعملت فيها، فاسـتثمار الطقـوس الدينية كـما يقول-فوكو- قد يمنح الـذوات المتكلمة صفات خاصة وأدوارا ملائمة تنسـجم وظروف القول، ولعبة الحوار (فوكو، 21).

وتفسر اللسانيات الأنثروبولوجية هذا التراجع وَجْهًا من وجوه التداعي الدلالي الذي يلحق بعض الصيغ والتراكيب والأساليب المعاصرة بأنَّه يندرج ضمن ما تسميه بـ (الهرمسة الدلالية) أو الخطر الوجودي الهرمسي الذي يستند في وجوده إلى انهيار المبادئ العقلانية، وتتيح الهرمسة الدلالية إضفاء الشرعية على الأعمال المشينة التي يرتكبها أصحاب المصلحة عبر التاريخ الإنساني؛ إذ بات ليس غريبًا أن تجدَ في يومنا هذا طرفي صراع يقتتلان، ويطلقان رسالة إلى العالم مفادها: (الله أكبر) (التميمي 2019م، ينظر: 249، و251).

النكاح من الشرعنة المؤدلجة إلى التعنيف المباح! (تعويم الرؤية)

لو تأملنا هذا الحوار: «**في سؤالِ المذيعةِ لداعشيَّةٍ مغربيَّة: كم سنةً لكِ هنا؟ ولماذا جِئْتِ؟ وكَمْ مرَّةً تَزَوَّجتِ؟ تُجيب: خمس سنوات؛ لإقامةِ شرعِ الله، وتزوَّجتُ مَرَّتينِ، وأخرى تَقُولُ ما إنْ تنْتَهِ العِدَّةُ نَتَزوجْ مرَّةً أخرى؛ لأنَّ المرأةَ في أَرْضِ الجِهادِ ضَرُوْريٌّ أن يَكُونَ لها رَجُلٌ، والمهاجرةُ ليسَ لها عَائلةٌ، وتفتخرُ إحداهُنَّ بأنَّ أمَّها هي مَنْ أَوْصَلَتْها من تُونُسَ، ولا تتمنى أن تَرجِعَ لبلادِ الكفرِ تعْنِي تونس، وتُداخِلُ إحدى الدَّاعِشيَّاتِ: مُسوِّغةً الزَّواجَ: نِكاحٌ أَحْسَنُ؟ أم سِفاحٌ؟ ولا يَهُمّ كَم مرةً، خمسَ مرَّاتٍ أو عَشْرَ مَرَّاتٍ أو عِشْرينَ أو أكثرَ لا يَهُمُّ**» الحوار التلفزيوني (مالم تره أو تسمعه عن الداعشيات): (من 15:51 إلى 17:52) لو تأملنا لوجدنا أنّ أهم ما يمكن أن يُلحَظَ عليه أمران:

أولا: الإباحية الجسدية المطلقة للمرأة الداعشية: والتسويغ الظاهري: هو «**إقامة شرع الله**» فلا يهمُّ أن يكون للمرأة زوجٌ أو زوجانِ أو ثلاثة... أو عشرون، مادام أنَّهُ ليس زنا أو سِفاحًا، وهذا التصوُّر في ظاهره ينساق مع الرؤية الإسلامية للنكاح، في حين أنَّه يُضمر عُنْفًا مُباحًا لجسد المرأة؛ إذ تُمارِسُ الجماعة الداعشية تحتَ مِظلَّة الجهاد، وإقامة حدود الله، فعلا عنفيا يستبيح كيان المرأة الأنثوي، ويُحوِّله إلى كيان رقمي إباحي تجريبي تعددي، فقول إحداهن: «**المرأةُ في أرضِ الجِهَادِ ضَرُوْريٌ أن يكونَ لَهَا رَجُلٌ**»

يعكس نمطا تثقيفيا من أنماط الفكر الداعشي المهيمن والمتسلِّط على العقل الجمعي لنساء الدولة، فالمتأمل لحوار نساء الدولة يلحظ التلقائية والسرد الجريء دون تَردُّدٍ أو ارعواء أو حرجٍ في مسألة تعدُّد الأزواج والنكاح إلى درجة أن المرأة المترملة منهن لا تنتظر طويلا بلا زواج، و«**تقول ما إنْ تنتهِ العدَّةُ نَتَزَوجْ مرَّةً أخرى**». فهذا الأسلوب الشرطي يكشف عن الحالة التواصلية والتلازمية بين فعل الشرط وجوابه، فلا يفصل بين المرأة الأرملة والوطء الجديد سوى العدة زمنا.

ثانيا: تفكُّك النَّسق القِيَمي لبناء الأسرة:

أِشارت إحدى الداعشيات في مَعْرِض حديثها عن النساء المهاجرات الى أرض الجهاد إشارةً خطيرةً وعائمة، تحتاج إلى وقفةِ تأمُّلٍ وتحليل، وهي مقولةُ أن المرأة «**المهاجرة ليس لها عائلة**» خطاب النفي هذا، يكاد يكون استغراقيا، وهو إن دلّ على شيء يدلُّ على اندكاك المفهوم القيمي لبناء الأسرة ومكوناتها وتماهيه؛ ويكشف الخطاب في مدلولاته المضمرة عن حالةٍ من اليأس والقنوط والتَّيْه وغياب الأمان، تعيشُ فيها نساءُ داعش؛ فتعرُّض الدواعش إلى القتل المستمرّ، واضطرار النِّساء على الزواج مرَّاتٍ ومرَّاتٍ، هشَّم الصورة التكوينية للأسرة العربية والإسلامية، وجَعلَها مفكَّكةً، وفاقدةً للانسجام والتماسُك، . مما أنتج لنا تراكيب لغوية حادة يظهر فيها دلالة امتهان أجساد النساء الداعشيات بعد أن شوهن -بتوظيف أسلوب النفي الجازم- الصورة القيمة لمفهوم الأسرة.

فمن هنا يفضي هذا النوع من النكاح إلى حالة من التعنيف المباح للنساء، وامتهان كرامتهن بأطر مُسوَّرة بالتشريع الظاهري، ومبطنة بغايات مريبة، في محاولة يمكن أن توصف بـ (تعويم الرؤية) في التحليل وخلط الهدف، أي جعل الرؤية عائمة وحمَّالة لأوْجُهٍ وقراءات لسانية مختلفةٍ.

الخاتمة والنتائج:

• يمثل هذا البحث الموسوم بـ (العنف اللغوي في خطاب «نساء الدولة») قراءة جديدة ومغايرة لخطاب أقل مايمكن وصفه أنه خطاب حامل للمفارقات، والتحولات في الأنساق الثقافية لواقع المرأة في العالم، تلكم المرأة المأسورة بين مَحْبِسَيْن، مَحْبِسٍ مادي حكم عليها أن تعيش حالة من الأسر والاغتراب والقنوط في مخيم الهول السوري، ومَحْبِسٍ فكري منغلق بكل ما يحمله من عقائد منحرفة لا تنتمي إلى الشريعة والحياة بصلة.

• تطوُّر مفهوم العنف لغويًّا من الدال المعجمي إلى التمثلات السلوكية، فالحدث الكلامي للعنف يرتبط بمنبعه اللغوي، فالتقريع والتعيير يمثلان أدائين صوتيين يعبران عن نمط من أنماط العنف التي تُنجَز في مقامٍ تَواصُليٍّ تفاعليّ سِمَته البارزة التَّنازِع والخِصَام.

• استلاب داعش الخطاب الأنثوي ومحقه هويته وسماته وخصائصه، إذ استعار خطاب (نساء الدولة) الخطاب اللغوي الذكوريّ المشحون بألفاظٍ إلغائية وعبارات أنوية متضخمة مما منحه صِفَة الغِلْظة والجَلَد.

• أعاد خطاب تنظيم داعش استحضار تاريخية ألفاظ العنف ووقائعها، وإحياءها وإنتاجها من جديد بألفاظ وتراكيب متعددة يمكن أن تؤسس لمشروع معجمي خاص بألفاظ العنف.

• تظهر سياسة التكفير في خطاب نساء الدولة صورة ارتدادية للتفكير الذي يلتزمها، والنابع من الفكرة الظاهرية والمطلقة في فهم سياق النص الديني، ومحاولة اللَّعب على ما يمكن أن نُسمِّيه تَجَوُّزًا (فكرة تخوين منطق النص) أي أدلجته، وسلب صفة القداسة منه، وإضفائها على ذات المُستلِب على نحو من التخويل أو التفويض أو احتكار الشرعية.

أما نسب فعل الذبح إلى السُّنة النبوية، وسير الصحابة والتابعين، وحمل الذات على التنكُّر للفعل، بقولها: (**إن الذبح سنة رسول الله و... وهذا كلام الله ليس من رؤوسنا،**) فَيُعدُّ سياسةً تبريريةً لإيقافِ التفكيرِ النقديّ لدى المتلقي، وإيهامه بتابوهات القداسة، تحت مسمى (فخاخ البلاغة).

• استراتيجية الذبح لدى داعش ودفاع النسوة عنها تظهر على ما يبدو ردة فعل وحشية على ما يلاقيه التنظيم من استهدافات عسكرية وتعلل دراسات النفسية سلوك الذّبح في سياق الحرب النفسية الدعائية، وحَشْدِ النَّفسيَّاتِ الثأريَّة، وبناءِ قوَّة عسكريَّة أكبرَ للتنظيم.

• إفراغ معنى التكبير كطقس ديني له ظروفه ومناسباته، وكدالة صوتية ولغوية من معنى (التعظيم) المرتبط بصفاة الله العزيز إلى معنى (الترهيب) المرتبط بصورة ذعر تلازمية بين اطلاق اللفظة وما سيعقبها من رهاب وقوع الكارثة، كالذبح والتفجير.

• توظيف بعض أساليب النفي في نحو (المهاجرة ليس لها عائلة) أنتج لنا تراكيب لغوية حادة يظهر فيها دلالة امتهان أجساد النساء الداعشيات بعد أن شوهن -بتوظيف أسلوب النفي الجازم- الصورة القيمة لمفهوم الأسرة من خلال أطر مشرعنة ومؤدلجة تبيح التعنيف المباح ضد المرأة وجعلها كيانا إباحيا رقميا مطلقا! كمحاولة لتعويم الرؤية في التحليل، وخلط المفاهيم على الرأي العام.

• أخيرا التجريب في مواجهة النص الشفاهي، وتحليله تجريب يجعلك متلقيا موضوعيا مطلعا على عناصر العملية الإرسالية، وما تضمره من قرائن القول وظروفه وحيثياته؛ مما يحقق لك تصوُّرًا لصيقا باللحظة الأدائية للخطاب، ومن ثم تتسم النتائج المترتبة على ذلك الخطاب بأنها نتائج أكثر مقاربة للمشهد وتعاطيا مع مضامينه ومراميه.

المراجع

- القرآن الكريم

ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379م.

ابن منظور الأفريقي. لسان العرب. بيروت للطباعة والنشر، 1956م.

أبو بكر ناجي. إدارة التوحش. (د.ت).

أحمد زايد. عنف في الحياة اليوميّة. القاهرة: المركز القومي، 2000م.

اسماعيل بن عمر بن كثير. تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب. ترجمة عبد الغني الكبيسي. دار ابن حزم، 1996م.

الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007م.

المازندراني (558هـ). مناقب يل أبي طالب، تحقيق: لجنة أساتذة النجف. ط1. النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية، 1956م.

باربرا ويتمر. الأنماط الثقافية للعنف. ترجمة د. ممدوح يوسف عمران. الكويت: عالم المعرفة، 2007م.

بغورة الزواوي. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو. المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

جان جاك لوسركل. عنف اللغة. ترجمة محمد بدوي. ط1. الدار العربية للعلوم، 2005م.

حسين نوري الطبرسي (1320هـ). مستدرك وسائل الشيعة. ط1. مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، بلا تاريخ.

د. جواد كاظم التميمي. اللسانيات الأنثروبولوجية «منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية». ط1. عمان: دار كنوز المعرفة، 2019م.

د. عبد الله الغذامي. اللغة والمرأة. ط3. المركز الثقافي العربي، 2006م.

د. محمد العبد. اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بحث في النظرية. ط1. دار الفكر، 1990م.

د. محمود عكاشة. المختصر في اصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية. ط4. القاهرة: مكتبة الآداب، 2006م.

د. محمود عكاشة. لغة الخطاب السياسي «دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال». ط1. مصر: دار النشر للجامعات، 2005م.

د. معتز الخطيب. العنف المستباح «الشريعة في مواجهة الأمة والدولة». القاهرة: دار المشرق، (د.ت).

عـماد عبـد اللطيف. حـروب بلاغية «مناورات خطاب السـلطة في في سـاحة الثـورة». ط1، تأليف التداوليـات وتحليـل الخطاب، بقلم د. حافظ إسـماعيل علوي و د. منتصر أمـين عبد الرحيم. كنوز المعرفة، 2014م.

مجموعة مؤلفين. اللسان العربي وإشكالية التلقي. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م.

محمد العدوي. أنماط العنف. القاهرة: المركز القوميّ، 2006م.

محمد بن علي الشوكاني. نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث، 1993م.

محمد حسـين مهاوي. الضرورة الشـعرية بين دواعي الشـكل والدلالة (أطروحة دكتوراه). جامعة بغداد كلية التربية ابن الرشد، 2013م.

ميشيل فوكو. نظام الخطاب. ترجمة د. محمد سبيلا. منشورات التنوير، (د.ت).

نورمـان فاركلـوف. تحليل الخطاب «التحليل النصي في البحث الاجتماعـي». ترجمة د. طلال وهبه. ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009م.

مصادر الأنترنت:

1 – ترسانة داعش الإعلامية، موقع بيت الإعلام العراقي، الرابط: http: / /www.imh-org.com (٪A7٪D8٪AA).

2 – تفكيـك بنيـان خطـاب العنف، والتطرف في منطقة الشرق الأوسـط، وشـمال أفريقيـا، الدليل الإرشـادي، إعداد: ليلى السـيد، وطلال فارس، وسـارة زيجـر، مركز هدايـة الألكترونية للخطاب المضاد، الموقع الألكتروني: (2017 (www.cn-library.com).

3 – تنظيـم الدولة الإسـلامية «البنية الفكريـة وتعقيدات الواقع»، د. معتز الخطيب، بحث منشـور في موقـع: مركـز الجزيـرة للدراسـات، الرابـط: / http: / /studies.aljazeera.net /ar /files /2014 /isil /11 /20

4 – الحوار التلفزيوني (ما لم تره أو تسمعه عن الداعشيات) على الرابط الإلكتروني.www/ / :https youtube.com /watch?v=EpM8d7GurPA&t=1668s

5 – سيكولوجيا الذبح عند داعش، فارس الصغير، دراسة منشورة على موقع إضاءات 6/ 2/ 2015، الرابط: https: / /www.ida2at.com

6 – العنف في التحليل النفسي، وفاء العسراوي، مقال منشـور على موقع الآداب في تاريخ 25– 7– 2018 الرابط http: / /al-adab.com /article/).

7 – «لغة العنف وعنف اللغة: مقاربة لسانية نفسية»، أ.د. مراد موهوب، بحث منشور على شبكة الانترنت.